PDF Compressor Pro

القسم الرابع

المستشرقون والقرآن الكريم

* بداية الطعن في الاسلام والقرآن بعد الرسول (ص).
* المستشرق الانجليزي د. آرثر جفري.
* المستشرق هنري ماسيه.
* المستشرق اليهودي كولد زيهر.
* المستشرقون في دائرة المعارف الاسلامية.

PDF Compressor Pro

بداية الطعن في الاسلام والقرآن بعد عصر الرسول (ص)

لقد مرّ بنا في القسم الثاني من هذا الكتاب ما عاناه الرسول (ص) من كفّار قريش بمكة ومن اليهود في المدينة في أمر تبليغ الاسلام ولاسيما القرآن وخصّصنا هذا البحث لدراسة ما عاناه حفظة الاسلام وحملته في شأنهما بعد الرسول (ص) منهم.

وفي مقدمتهم يوحنا الدمشقي ــ الذي كان يعيش في كنف البلاط الاموي ــ أوّل من تصدى للاسلام هو وخليفته ثيودر أبو قرة وبدأ بالتلاعب الجدلي البيزنطي الذي كان يتّقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفات اليونانية وأثار مسائل جدلية مثل: هل كلام اللّه مخلوق أم غير مخلوق؟ وهل روح اللّه مخلوق أم غير مخلوق؟

والذي انتشر بعد ذلك بين المسلمين. وأنّ الوحي الذي ادعاه الرسول (ص) (كذا) كان يصاغ حسب رغباته الجنسية مشيرا إلى قصة زيد وزينب والتي اعتبرت بعد ذلك عند المسيحيين من الاساليب الجدلية التي يتفننون بها كيدا للاسلام.

ومثل قوله ان المفاهيم منقولة من التوراة والانجيل، وتأثر به بيزنطينيون حاقدون على الاسلام رافضون للقرآن مثل نيكيتاس وزيجابينوس في كتاباتهما المتأثرة بالدمشقي، ثم أخذ منه اللاّتينيون الغربيون ورددوا أقواله بأساليب مختلفة وكان ذلك إبان الحروب الصليبية. وعندما أدرك المسيحيون قوة المسلمين الذين يدينون بالاسلام ويحملون القرآن، شنّوا حملة ضدهم وكان الرائد لهذه الحملة بطرس الكلوني الذي ذهب إلى اسبانيا وترأس إدارة دير كلوني سنوات (1094 ــ 1156م) ونادى بحرب المسلمين عسكريا وفكريا، ويكتب للملوك الصليبيين: ان الراهب ينبغي أن يكون مسيحيا في فضائله عسكريا في أعماله وان تنصير المسلمين أنفع للمسيحية من قتلهم. وبينما كان الصليبي همه فتح بيت المقدس وذبح المسلمين كان يتمنى أن يصحب هذا الفتح المجيد فتحا روحيا بتنصير المسلمين، ويرى ان سيف الكنيسة الحقيقي سيف التبشير بالانجيل والتنصير وليس سيف قتل فحسب، وانّ الحروب الصليبية كانت تهدف اولا تنصير المسلمين وتحوّلت أخيرا إلى عمل سياسي وعسكري فقط فاقدة بذلك مهمتها الاساسية، وان السبب في ذلك عدم معرفة المسيحين بحقيقة الدين الاسلامي، ولذلك أوجب على نفسه ومن استطاع أن يؤثر فيه، دراسة الدين الاسلامي ومحاجة المسلمين واقناعهم بالتخلي عن الاسلام والدخول في المسيحية بدلا من (ذبح

PDF Compressor Pro

المسلمين في محبّة الرب) ورفع شعار (الكلمة بدلا من السيف) و(أنا أقترب منك بالكلمة وليس بالقوة وبالتفاهم والمحبّة وليس بالكره والسلام كما يفعل قومنا دائما).

وقد دُرست الحرب الصليبية التي انتهت، وأُهملت دراسة الحرب الفكرية والتي لازالت قائمة.

وفي هذا السبيل سافر بطرس الكلوني إلى اسبانيا سنة 1142 م وتفقد شؤون أديرتها وحصل من الامبراطور الفونس السابع الذي كان يحاصر المرابطين في (Coria) لمشاريعه أملاكا واسعة وأموالا جمة، ولمعرفة الاسلام كلّف بطرس في هذه السفرة جمعا من المترجمين لدراسة بعض الكتب وترجمتها وموّل مشروع الترجمة واختار لذلك كتبا ألفها يهود متنصرين ونصارى مستعربين والتي كانت أبعد ماتكون عن الاسلام الحقيقي، بل كانت أساطير ملفقة، كما وصّى بترجمة القرآن الكريم استعدادا للهجوم عليه وتفنيده وتحريف كلماته ومعانيه والاستهزاء بما جاء فيه والتشفي من المسلمين. وكان من الكتب التي اختارها بطرس للترجمة كتب من مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية أسسها القس رايموند في كنيسة بطليطلة سنوات (1125 ــ 1151م) بعد سقوط المدينة بيد الفونس السادس بعد أن كانت مركزا حضاريا إسلاميا سنوات (712 ــ 1085م) وكان من جملة ما ترجموا كتب الفارابي وابن سينا والغزالي وارسطاطاليس وغيرهم.

واجتمع بطرس الكلوني عام 1142 م مع القس رايموند في سلامانكا وموّل مشروعه للترجمة، وكلّف بطرس خمسة مترجمين بترجمة مجموعة طليطلة وحفظت بدير كلوني أربعمائة سنة ونشرت المجموعة بعد اختراع الطباعة في بازل عام 1543م.

المترجمون في طليطلة وأعمالهم

المعلم بطرس الطليطليٍ Toledo of Peter

كان بطرس من عائة مسيحية مستعربة Mozarabs يتّقن العربية وعلى معرفة بالعادات العربية والاسلامية وساهم في ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية وقد يكون هو الذي اختار مجموعة الكتب التي ترجمت مع القرآن الكريم لتنفيذ مشروع بطرس الكلوني ويمكن اعتباره عميد فريق المترجمين. وقد قام بترجمة رسالة عبداللّه بن اسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن اسحاق الكندي Rescripum et Saraceni Epistola والتي كتبها ردّا على رسالة عبداللّه بن اسماعيل الهاشمي اليه، وفيها دفاع حار عن عقيدة التثليث وقد لاقت هذه الرسالة اهتماما كبيرا من النصارى وترجمت إلى التركية والانجليزية علاوة على اللاتينية.

PDF Compressor Pro

والرسالة عبارة عن كتاب من مسلم في عصر المأمون موجه إلى مسيحي يدعوه فيها إلى الاسلام ورد المسيحي عليه، ويقال إنّ المأمون استمع إلى الرسالتين، ويظن أن الرسالتين من خيال المؤلف المسيحي وهو حوار مسيحي متطرف، طالما فرح به المنصّرون حتّى أيامنا هذه.

2 ــ روبرت الكيتونيٍّ Ketton of Robert

وهو انجليزي الاصل قام برحلات كثيرة قبل أن يستقر في برشلونة عام 1136 م لدراسة الفلك والهندسة وكان مولعا بهما وكان يشارك بلاتو من تيفولي أحد تراجمة مدرسة طليطلة في ترجمة كتب المسلمين في الفلك والهندسة. وهو المترجم الرئيس للقرآن الكريم إلى اللاتينية وقد منح منصب أرشيدوق بامبللونا بعد الانتهاء من الترجمة وهو منصب كنيسي رفيع مما يدل على أن روبرت كان قسيسا.

كتب روبرت عن ترجمته للقرآن الكريم يقول: ((لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمد ويسرت فهمه وضممته إلى كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أسس هذا القانون حتّى تتجلى أنوار الربّ على البشرية ويعرف الناس حجر الاساس يسوع)).

وكتب يقول: لقد رأت كنيسة كلوني في بطرسها، ما راه السيد المسيح في رفيقه بطرس ويجب أن يُشكر (أي بطرس الكلوني) لتعرية مبادئ الاسلام للضوء بعدما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر لمدة نحو خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما. وقد وضّحتُ في ترجمتي في أي مستنقع فاشل يعشش مذهب السراسين (المسلمين) متمثلا في عملي كجندي مشاة يشق الطريق لغيره.

لقد قشعت الدخان الذي أطلقه محمد، لعلك تطفئه بنفخاتك(1) (أي بطرس الكلوني). هذه هي الروح التي سيطرت على مترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية في خطاباته إلى مُستأجِرِه. وقد استغرقت الترجمة إلى اللاتينية مدة سنة فقط. وكانت روح الاستهزاء والسخرية تظهر بوضوح في كتابات روبرت وترجمته للقرآن الكريم وخصوصا في تسميته للسور، ثم في خطاباته إلى بطرس الكلوني.

وجاء على لسانه أنه عانى صعوبات كثيرة في ترجمته للقرآن، وأنه قد تصرّف بحرية مع النص حتّى أنجز العمل. فمثلا سورة البقرة قسمّها إلى ثلاث سور واتّبع هذه القاعدة في أماكن اخرى لذلك فقد انتهى بعدد لسور القرآن تزيد تسعة سور عن النص الاصلي.

3 – بطرس من بواتييه Poitiers of Peter

وكان راهبا في دير كلوني وكان يعمل سكرتيرا لرئيس الرهبان بطرس الكلوني وقد نمت صداقة قوية بينهما. وقد اختير رئيسا للرهبان في سانت مارتيال في ليموج وكان ذلك قبل وفاة بطرس الكلوني في عام 1156م.

PDF Compressor Pro

ويبدو أنه قام بما يشبه رئاسة التحرير للمجموعة الطليطلية والتي اعتبرت من ذخائر الدير والتي عكف عليها الرهبان 400 سنة يتدارسونها ويستنبطون محاور الجدل والنقد والدحض والافتراء. فهو الذي قام بترتيبها عدة مرات وتحريرها ووضعها في صورتها النهائية ورتب فيها كتاب الرسالة للكندي وكتاب آخر كتبه بطرس الكلوني سُمّي الخلاصة Summa بنى عليه ما استخلصه مما جاء في المجموعة الطليطلية وقد كتب بطرس من بواتييه إلى بطرس الكلوني يقول:

((لقد رتبت الان المجموعة ترتيبا أفضل من السابق فإن رضيت عنها كان بها وإلاّ فلك مطلق الحرية في تصحيح ما تشاء. فأنت وحدك الذي مزق أعداء المسيحية الثلاثة بسيف الكلمة المقدسة، وأعني بهم: اليهود والوثنيين والسراسين (المسلمين)(2)... إلى قوله: ويجب علينا أن نكون شاكرين لعدم رغبة برنارد من كليرفو في أن يسخّر نفسه لهذا العمل (أي كتابة وجمع المجموعة الطليطلية كنقطة هجوم على المسلمين))).

4 ــ هرمان الدلماطي Dalmatia of Hermam

عاش في أسبانيا (ت: 1172م) وكان على صداقة حميمة مع روبرت من كيتون وأنهما كانا يدرسان سويا وبطريقة سرية لدفع الشبهة عنهما وعن نواياهما.

وللدلماطي غير ترجماته في مجموعة طليطلة عدة ترجمات أخرى واحدة في الفلك لسهل بن بشير وجداول فلكية للخوارزمي وأبو معشر وللمجريطي وغيرهم.

لقد استغل القوم الحرية والامن في ظل الاسلام فعكفوا على ترجمة علوم المسلمين إلى اللاتينية، وغالبا ما كانت عملية النقل هذه تتم سرّا وفي الكنائس بأيدي الرهبان والقسس.

أما دوره في مجموعة طليطلة فقد قام بترجمة Liber Mahumet gener ationis وقد استكمل ترجمته في ليون Leon عام 1142م.

وكتاب Mahumet generationis Liber وهو كسابقه مملوء بالاساطير والاسرائيليات ويعتقد أن أصله في العربية هو كتاب نسب رسول اللّه (ص) وهو من أخبار كعب الاحبار وسعيد بن عمر والكتاب يركز على مولد الرسول(ص) والنور الذي انتقل من عهد آدم (ع) جيلا بعد جيل إلى الرسول(ص).

5 ــ وهناك شخصية غامضة باسم محمد ورد ذكرها مرة واحدة على هامش أحد الكتب الخمسة المترجمة والتي تُكوّن المجموعة الطليطلية، ولعله كان مخدوعا في أهداف مشروع الترجمة ذلك وظن أنه يساهم في التقارب الاسلامي المسيحي وما أكثر المخدوعين حتّى في عصرنا هذا.

PDF Compressor Pro

والاحتمال الاكبر هو أنها شخصية وهمية. فقد دأب القوم على وصف بعض الكتب أن مؤلفها مسلم ارتد إلى المسيحية لاعطاء الكتاب توثيقا أكبر، وهي حيلة طالما استعملوها وخصوصا عند ترجمة القرآن الكريم، فكثيرا ما كانوا يدّعون أن الترجمة عن النص العربي في الوقت الذي لا يعرف فيه المترجم اللغة العربية.

المجموعة الطليطلية Collectio Toledan والترجمة اللاتينية الاولى للقرآن الكريم

وهي مجموعة الترجمات التي نفّذت لحساب بطرس الكلوني. ولعلّ التسمية نسبة إلى بطرس الطليطلي. وقد احتوت على ترجمات لمسائل أبي الحارث عبد اللّه ابن سلام وكتاب نسب رسول اللّه (ص) لسعيد بن عمر وكتاب مجهول الاصل والاسم في تاريخ الانبياء وقصصهم والرسالة لعبد اللّه بن اسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن اسحاق الكندي هذا علاوة على ترجمة للقرآن الكريم وكتابات بطرس الكلوني للرد على المسلمين.

هذه هي الكتب التي جمعها بطرس الكلوني وترجمها بالاضافة إلى ترجمة روبرت من كيتون للقرآن الكريم إلى اللاتينية وقد عرفنا أنّه لم يترجم ترجمة أكاديمية ملتزمة في حدود ما يسمح به الاختلاف الشديد بن اللغتين العربية واللاتينية.

فاللغة السامية الرفيعة للقرآن الكريم كانت ولاشك مشكلة كبيرة لمن لا يحسن العربية ولمن لا يعرف الاسلام، فضلا عن ذلك لمن يتحامل على الاسلام.

وكان علاج روبرت لهذه الصعوبة كما كتب بنفسه إلى بطرس الكلوني هو التضحية بالدقة لحساب المعنى الاجمالي، وكما يقول كريتزك أنه بهذا التحرر من النصّ قد وصل إلى نتائج تكاد أن تكون فكاهية.

فكما ذكرنا سابقا لم يلتزم بالسور كما جاءت بل قسّم بعض السور إلى أكثر من سورة، كما أنه لم يلتزم بالايات فقد دمجها كما أراد، وغير صيغ الكلام علاوة على الاخطاء الفاحشة في ترجمة المعاني نفسها.

ويبدو أن ترجمة كتابه ((الرسالة)) لعبد المسيح بن اسحاق الكندي كان أكثر الترجمات دقة، لان الكتاب هو دفاع عن المسيحية ومحاجّة للمسلمين بالاسلوب الذي تعرفه المسيحية مما سهّل الترجمة. وأضاف بعد ذلك بطرس الكلوني عدة كتابات ورسائل إلى هذه المجموعة وهي كتابات تنقض وتحاج المسلمين بما سمي Refutation ((أي النقض)) ورسائل موجهة إلى برنارد من كليرفو يشرح له ما وصل اليه مشروعه في نقل أفكار المسلمين ومذهبهم وكتابهم إلى اللاتينية.

فكتب ما سمي بالخلاصة Saracenorum haeresis tatius Summa وكتب رسالة سمّيت Claravallis Berardum ad Cluniacensis Petri Epistol

وكتاب ضد الاسلام بعنوان um Saracenor. haeresim sive sectam Contra Libre

PDF Compressor Pro

وحفظت هذه المجموعة ومن ضمنها ترجمة القرآن الكريم بالصورة التي ذكرنا، في دير كلوني ووضعت تحت تصرف الدارسين من الرهبان وبقيت سرّا بينهم لايطلّع عليها غيرهم خشية التأثّر بتعاليم القرآن الكريم وظلت في صورة مخطوطة حوالي 400 سنة حتّى اخترعت الطباعة.

طباعة الترجمة الاولى للقرآن الكريم باللغة اللاتينية

في عام 1542 م حاول ثلاثة من الدارسين في مدينة بازل ان ينشروا مجموعة الترجمات هذه ولكنهم جُوبهوا برفض سلطات المدينة للنشر ولم يحتمل المجلس أن يأخذ على عاتقه السماح بالنشر لهذه الهرطقة والكفر وتركه لتوزّع وتروّج بين المسيحين وتشوش أفكارهم وضمائرهم (كذا).

ولكن الدارسين الثلاثة قرروا نشرها ليضعوا مجلس المدينة أمام الامر الواقع وبدأوا بالطباعة فعلا ولكن السلطات علمت بالامر فأوقفت الطباعة وصادرت ما طبع وسجنت منهم أوبرينوس.

ولكن سرعان ما حالف أوبرينوس الحظ عندما أرسل ((مارتن لوثر)) إلى مجلس المدينة خطابا قال فيه: انه لايوجد أضرّ على الاسلام والمسلمين من نشر هذا الكتاب. وبذلك أنهى المشكلة ووافق المجلس على النشر على ألا يوزع في المدينة.

واستكملت طباعة المجموعة وفيها أول ترجمة للقرآن باللاتينية مع مقدمة لمارتن لوثر وفيليب ميلانختون، في 11 يناير 1543. وسميت طبعة بيبلياندر وكانت بداية لسيل من الترجمات باللغات الاوروبية منذ ذلك التاريخ، وبلغت اللغات التي ترجم اليها القرآن الكريم ترجمة كاملة 21 لغة أوربية عدا اللغة الافريكانية التي كانت تستعمل في جنوب أفريقيا بالاضافة إلى ترجمات غير كاملة ومختارات بلغات أوروبية أخرى.

وظهرت للترجمة اللاتينية التي طبعها بيبلياندر في بازل عام 1543 م طبعات أخرى في أعوام 1550 م بزيورخ وعام 1721 في ليبزيج.

ويقال أن بيبلياندر هو الذي قام بالترجمة اللاتينية، ويقال أن طبعة بيبلياندر مأخوذة عن ترجمة أخرى قام بها رهبان كاثوليك في ايطاليا وعلى أي حال فإن الترجمة التي قام بها روبرت من كيتون وحفظت في كلوني كانت أول محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الاوروبية.

وكيف تكتب ترجمة للقرآن الكريم في هذا الجو القاتم من المواجهة والعداء؟

وقد أصبحت هذه الترجمة اللاتينية بعد طبعها مصدرا ميسرا للمترجمين في إيطاليا وألمانيا وهولندا لعدم معرفتهم باللغة العربية.

وقد قال جورج سال عن هذه الترجمة اللاتينية التي كانت أساسا للترجمة إلى أربع لغات: ((ان مانشره بيبلياندر في اللاتينية زاعما بأنها ترجمة للقرآن الكريم لا تستحق اسم ترجمة فالاخطاء اللانهائية والحذف

PDF Compressor Pro

والاضافة والتصرف بحرية شديدة في مواضع عديدة يصعب حصرها يجعل هذه الترجمة لا تشتمل على أي تشابه مع الاصل)).

وقد زاد أريفابيني الطين بلة بإضافة أخطاء جديدة بترجمته الايطالية فازدادت الترجمة بعدا وخطأً عن الترجمة اللاتينية فضلا عن الاصل العربي.

ترجمة أندريه دي ريورRyer De Ander الفرنسية عام 1647م

أندريه دي ريور سيور دي ماليزيه مستشرق ولد عام 1580 م في مارسيني (شارولیه) التحق بالبلاط الملكي وعين في السلك الدبلوماسي في القسطنطينية، ثم قنصلا في الاسكندرية بمصر.

ألّف في النحو التركي باللغة اللاتينية 1630 م، وترجم ديوان ((سعدي)) المعروف بعنوان گلستان من اللاتينية إلى الفرنسية (1634)(3). كما ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية في جزأين ويدعي صاحب الترجمة أنه على دراية بالتركية والعربية. وتحمّل هذا القنصل مشقّة الترجمة إلى اللغة الفرنسية كأول ترجمة للقرآن الكريم بهذه اللغة. وقال كلود أتين سافاريSavary Etienne Claude صاحب الترجمة الفرنسية عن هذه الترجمة:

((القرآن الكريم الذي شهد الشرق كله بكمال أسلوبه وعظمة تصويره يبدو تحت قلم دي ريور مقطوعة مملة سقيمة واللوم يقع على طريقته في الترجمة.

فالقرآن منظوم في آيات لها ترنيم يشبه الشعر وليس بالشعر.

ولكن دي ريور لم يلق بالا إلى النص الذي يعالجه، فجمع الايات في مقال متواصل ضاعت فيه كرامة المعنى وجمال الاسلوب تحت وطأة تركيباته الجامدة وجمله الغامضة حتّى ليصعب على الانسان أن يعرف أن هذه الترجمة السقيمة لذاك الاصل.

وحتّى أن القارئ لهذه الترجمة لا يمكن ان يتصور على الاطلاق أن هذا القرآن آية في كمال التعبير بالعربية)).

الترجمة اللاتينية الثانية(4) للقس لودفيجو ماراكيوس (1612 ــ 1700م):

بعد دراسته الاولية دخل سلك الدراسات اللاهوتية والسريانية واشتهر بصلاحه وتقواه، وتقلد عدة مناصب درس أثناءها اللغات اليونانية والعبرية والسريانية والكلدانية والعربية ودرّس هذه اللغات في كلية سابينزا بروما ثم في كلية بروجاندا بأمر البابا كليمنت السابع. وعندما طلب منه اختبار بعض الوثائق التي وردت من أسبانيا وكان يظن أنها للقديس سانت جيمس، بيّن ماراكيوس أنها ليست لذلك القديس بل يمكن أن تكون

PDF Compressor Pro

من عمل بعض المسلمين الذين أرادوا خداع المسيحيين. مما حدا بالبابا أنوسنتي الحادي عشر باختياره للعمل عنده وسبغ ثقته الكاملة عليه. وكان يمكن أن يرفع لاعلى المناصب الكنيسية لولا تواضع ماراكيوس ورفضه للمناصب. وبتوجيهات من البابا شرع في ترجمة لاتينية جديدة للقرآن الكريم وذلك للرد على المسلمين وللجدل الديني. وعندما انتهى من عمله بعد أربعين سنة كان قد سطر (عدّة مجلدات) وفي هذه المجلدات كتب النص القرآني العربي علاوة على الترجمة اللاتينية الحرفية وفي هذه المرة رقم الايات ثم أتبع ذلك برأي المسلمين في شرحها، وأتبع ذلك بالنقد والرفض والهجوم الجدلي على القرآن الكريم.

وقد كانت لمراكيوس حرية الاستعانة بمكتبة الفاتيكان ومجموعات مكتبية أخرى كثيرة منها المجموعة المارونية ــ المجموعة الكارمالية، مكتبة الكاردينال كاميللي ماكسيميس، مكتبة إبراهيم الماروني وغيرها.

وطبعت ترجمته أول مرة في مدينة بدوا الايطالية عام 1698 ثم في ليبزج عام 1721 مع مقدمة لكرستيان رنيشي.

كما شارك في ترجمة الانجيل إلى اللغة العربية بمبادرة من مطران حلب عام 1624 ونشرت في روما عام 1671م.

وإن كان للشرّ أن يقيّم فإنه يمكن القول أن ترجمة ماراكيوس كانت أكثر رفضا وتجريحا من سابقتها، فهي أشدّ جدلا وهجوما على القرآن الكريم وأدقّ ترجمة وأوسع مصادرا وأكثر عمقا وخبثا فشتّان بين عمل يستمر أربعين سنة من عالم زاهد متمكن من عدّة لغات شرقية وتحت يده مكتبات الكنائس ومجموعات أخرى غنية بالكتب، وبين عمل روبرت من كيتون الفلكي الرياضي الذي ترجم وسبّ وهاجم في سنة واحدة وليس عنده كل تلكم المراجع ولا المعرفة باللغات الشرقية. ولاشك أن تفنيدا استغرق أربعين سنة يكون أكثر شرّا من سابقه.

إنّ مقدمة ترجمة ماراكيوس تشبه مقدمة ترجمة بيتر الكلوني. فقد فصّل وجهة النظر المسيحية ونعى المسيحية إهمالها لمهاجمة الاسلام وجدّد الهجوم بطريقة أكثر إحكاما وتقدما من سابقه والترجمة من الناحية اللغوية أدقّ من ترجمة الكلوني وأصبحت مصدرا لترجمة جورج سال الانجليزية.

وإنّ روح النقد والشبهات اللذين أثارهما ماراكيوس ليسا جديدين على الترجمات اللاتينية فبعضها يصب في بعض.

أثر الترجمة اللاتينية الثانية لماراكيوس:

بعد ظهور ترجمة ماراكيوس، قام دافيد نريتر بترجمته إلى الالمانية عام 1703م نقلا عن ماراكيوس. وكانت أوسع ترجمة إنتشارا نقلت عن ماراكيوس هي الترجمة الانجليزية لجورج سال عام 1734م. وإذا

PDF Compressor Pro

كانت ترجمة دي ريور هي رجع الصدى لترجمة الكلوني اللاتينية الاولى والتي حملت ميكروب التهجم إلى اللغات الاوروبية.

فإن ترجمة جورج سال كانت رجع الصدى لترجمة ماراكيوس وكانت الاداة التي نقلت أفكاره إلى اللغات الاوروبية أيضا.

ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالي وفيه نرى أن لكلّ من الترجمتين اللاتينيتين تابع رئيسي وزّع تأثيرهما على باقي اللغات الاوروبية.

وما ان انتشرت ترجمة جورج سال بالانجليزية حتّى تلتها ترجمة له بالفرنسية عام 1750م نقل عنها ك. سافاري عام 1783م بالفرنسية، وكازيمرسكي عام 1840 بالفرنسية ثم أيضا تيودور أرنولد عن سال بالالمانية عام 1746 م ثم جورج سال بالروسية عام 1729 م ثم سافاري بالروسية لمجهول عام 1844 م، ونيكولاييف عن سال وكازيمرسكي بالروسية عام 1864م، ثم كولييه في بتافيا بالهولندية عام 1859م وجيوفاني بانزيري(5) بالايطالية عام 1882م.

ثم فينسنت إدرتيز ديلابوبيلا بالاسبانية عام 1872 م ثم الوميتكو قافزيزي بالالبانية عام 1921 م فنيكولاس ليتزا عام 1902، 1910م، بالبلغارية ثم تيموفوف بالبلغارية عام 1930 م وهكذا نجد أن أفكار ماراكيوس قد حطمت حاجز المكان والزمان وأخذت تزرق دما فاسدا في رؤوس الاوروبيين بشتّى اللغات كالوباء الذي يستشري حتّى لا يجد ما يطحنه فينتقل إلى مكان آخر أو يظهر بعد عدة سنوات.

ويقول جورج سال عن ترجمة ماراكيوس: ((إن ترجمة ماراكيوس بصفة عامة مضبوطة ولكنها حرفيّة سهلة الفهم إن لم أكن قد خدعت بمن ليسوا على علم بدين محمد. والشروح التي أضافها كانت ذات فائدة كبيرة ولاشك ولكن رده ونقده للقرآن ضخّم عمله إلى مجلد كبير لا طائل منه وغير شاف وأحيانا خارج عن الموضوع.

وعموما فالعمل بكل أخطائه كان مفيدا، وأشعر بالذنب وعدم العرفان بالجميل إن لم أعترف بفضله عليّ...)).

أما ك. سافاري فيقول: ((ماراكيوس هذا الراهب المثقف والذي أمضى أربعين سنة في الترجمة والرد على القرآن سار في ترجمته المسار الصحيح في تقسيم عمله إلى ترجمة الايات كما في النص الاصلي غير أنه ترجمها ترجمة حرفية ونسى أن النص الذي في يده عمل فريد غير عادي.

PDF Compressor Pro

فهو لم يعبر عن معاني القرآن بل نقل الكلمات إلى لغة لاتينية بربرية وبعد أن فقد الاصل كل جماله فإن ترجمته مازالت أفضل من ترجمة دي ريور)).

هذه أقوال من استفادوا واعتمدوا على ماراكيوس في ترجماتهم وعلى الرغم من إدعاء جورج سال بأن ترجمته كانت عن العربية إلاّ أنه يشعر بالذنب إن لم يعترف بفضل ترجمة ماراكيوس، كما أنه يخشى أن يكون قد خدعه من لايعرفون دين محمد. وكأنه كان هناك من يمدّه بالمعلومات عن العربية وهو غير متأكد من تمام معرفتهم بها وخشي أن يكونوا قد ضللوه.

إن قائمة طبعات جورج سال طويلة في اللغة الانجليزية وغيرها من اللغات وأصبحت من العلامات الفارقة كما ذكرت.

ولاشك أنّ الدليل إن ضلّ، ضل التابع وهذا ما أحدثته الترجمتان اللاتينيتان فقد اقتدت أوروبا كلها في شتى لغاتها أثريهما. رغم ادعاء البعض بأنه نقل عن العربية مباشرة غير أنه يظهر رجوعه إلى الجذور اللاتينية في ترجمته وكما يتضح من الجدول ان اللغات الاوروبية على اطلاقها اعتمدت على الترجمات اللاتينية إما مباشرة أو عن طريق لغة أوروبية أخرى مثل الترجمة باللغة البلغارية 1930 م التي أخرجها المبشر الالماني أنرست ماكس هوبه التي أخذها عن الالمانية عن الانجليزية (لسال) عن الترجمة اللاتينية لـــ (ماراكيوس) عن الترجمة العربية.

ولاشك أن مثل هذه الرحلة الطويلة للكلمة القرآنية بين أيدي الرهبان والمبشرين ستلتوي وتُمزّق حتّى إذا وصلت إلى اللغة البلغارية تعتبرها الكنيسة في ذلك الوقت نصرا سيوقف المسلمين في بلغاريا عن قراءة النص القرآني العربي ويستعملون بدلا عن المولود القميء الجديد، وتنوّه الصحف البلغارية بذلك الانجاز فتقول: ((لقد فعلها ذلك الالماني هوبه وسنفصل المسلمين عن قرآنهم بترجمتنا البلغارية الجديدة)).

إنّ أكثر مايثير السخرية أن ترجمة جورج سال بعد أن انتشرت وذاعت قامت البعثات التبشيرية البروتستانتية بترجمتها إلى العربية في مصر تحت اسم ((مقالات في الاسلام))(6).

وكيف تكون هذه الترجمة بعد هذه الرحلة الطويلة من العربية إلى اللاتينية فالانجليزية فالعربية.

ولم يسمع أن مسلما قام بترجمة الانجيل إلى العربية أو إلى أي لغة أخرى.

فالعداء والكراهية والفهم الخاطئ المقصود أو النابع عن الجهل لم يكن من جانب المسلمين وإنما كان من جانب النصارى.

فلماذا يا ترى يحاول الاوروبيون ترجمة القرآن الكريم مرة بعد أخرى. ودون توقف منذ 548 عاما؟ هل شعروا بتحدي القرآن الكريم لهم؟

PDF Compressor Pro

قد تكون أول ترجمة لاتينية كلونية كانت حبّا للاستطلاع وفضولا أثاره الفزع من الفتح الاسلامي ولكن هذا الطوفان من التراجم الذي مازال يترى حتّى الان مع ملاحظة أن الترجمة ليست بالعمل الهيّن المُسلّي ــ ويزداد الامر صعوبة واستحالة مع نص معجز كالقرآن الكريم.

فما سبب هذا الاصرار ياترى؟ أترك هذا التساؤل أمانة في أعناق الدارسين ليكشفوا لنا ماذا يُراد بالمسلمين وبقرآنهم.

النتيجة

يمكن القول بأن الترجمات الاوروبية قد مرت بعدة مراحل متداخلة:

1 ــ من القرن الحادي عشر حتّى الثامن عشر:

أ – مرحلة الترجمة من العربية إلى اللاتينية (بذرة الاستشراق).

ب ــ مرحلة الترجمة من اللاتينية إلى اللغات الاوروبية (أكثر الترجمات سوءا).

2 ــ في العصر الحديث:

ج ــ مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللغات الاوروبية بواسطة المستشرقين واضرابهم بعد أن اشتد ساعد الاستشراق وعرف العربية ودرس كتبها.

د ــ مرحلة دخول المسلمين مؤخرا في ميدان الترجمة إلى اللغات الاوروبية مع ليبرالية العصر والنظرة العلمية المجردة لموضوع الترجمة بصرف النظر عن مشاعر المترجم الدينية إن لم يكن مسلما.

وفي المرحلة الاخيرة فقط يمكن القول بأن هناك بعض الترجمات القليلة تعدّ بأصابع اليد الواحدة في ترجمات اللغات الاوروبية مجتمعة والتي زادت على 450 ترجمة كاملة غير مئات من الترجمات الجزئية، التي يمكن القول بأنها على شيء من الموضوعية.

والتقسيم السابق يبين المراحل التي مرت بها الترجمات في البلدان الاوروبية وذلك بدءا بالترجمة اللاتينية الاولى التي أشعلت الفتيل.

ولكن هناك تقسيم آخر يمثل وجهة النظر المسيحية اللاتينية.

فقد مرت الترجمات والكتابات المسيحية المختلفة عن القرآن الكريم بعدة مراحل:

(أ) من عام (1100 ــ 1250م) وفيها ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية كما سبق وفي هذه الفترة زاد الاهتمام بدراسة الاسلام بين الرهبان والدارسين.

PDF Compressor Pro

(ب) من عام (1250 ــ 1400م) بدأ تراجع الحملات الصليبية واندحارها، مما حدا بالكنيسة بأن تزيد من نغمة العداء للاسلام حفاظا على شعلة الصليبية متأججة، وتعويضا عن التراجع ويمكن ملاحظة ذلك في كتاباتهم خلال هذه المدة.

(ج) من عام (1400 ــ 1500م) خمدت جذور التحريض إلى حين، ثم استعرت وتأججت مرة أخرى عام 1453 وهو عام فتح القسطنطينية الذي نكأ الجروح وأيقظ الحقد الصليبي مرة أخرى بعد أن هدأ قليلا بعد انهزاماته في حروبه الصليبية.

ومنذ الترجمة اللاتينية الكلونية الاولى والمسيحية تعيش في وهم اكتشفوه بعد اطلاعهم على القرآن الكريم. فقد وجدوا أن المسلمين يؤمنون بعيسى وموسى ومريم وإبراهيم وآدم وحواء وأن هناك كثيرا من التشابه بين الاسلام والمسيحية وأن الاسلام ماهو إلاّ صورة مشوهة من المسيحية (كذا).

ومن هذا المنطلق فإنه من الممكن بدراسة القرآن وتنقيته مما شابه من انحرافات عن المسيحية فإنه يمكن العودة بالمسلمين إلى حظيرة المسيحية.

وفي النهاية فإنه يمكن القول بأن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية لغة الكنيسة وبأيدي رجالها لم تكن عملا أكاديميا أثاره حبّ الاستطلاع فقط، بل كانت عن سابق تخطيط وترصد احتاج إلى تنفيذه إرسال البعثات لسنين عديدة لدراسة العربية ثمّ اعتكاف طويل للترجمة بتوجيهات أعلى سلطة دينية مسيحية وبمساعدة وإشراف رئيس رهبان أكبر رهبانية في ذلك الوقت وأقصد بها رهبانية كلوني، والاخطر من هذا هو البحث عما ظنّوه اختلافا أو أخطاء أو ما شابه من الظنون فكان الرد على القرآن والطعن فيه أهم عندهم من الترجمة حتّى أن ماراكيوس في طعنه للقرآن كان جادا في استكمال مطاعنه وردوده التي فاقت ترجمة سابقيه وردودهم، وأشار اليها جورج سال مشمئزا مما حوت مفضّلا عليها موضوعية مهذّبة ماكرة قد تكون أفضل في التعامل مع المسلمين.

قال هذا الماكر في مقدمة ترجمته:

إني لم أسمح لنفسي عند التحدث عن محمد أو قرآنه أن أستعمل السباب المشين والتعبيرات اللاخلاقية والتي ظنها الكثيرون ممن كتبوا ضده أنها أقوى أسلوب للمجادلة.

ولكن العكس هو الصحيح، فقد وجدت أنه من الملائم معالجة الموضوع بالحكمة والادب بل والموافقة على الاساسيات التي أعتقد أنها تستحق الموافقة، كمدى الجريمة الابدية التي ارتكبها بفرضه دينا مزيفا على البشرية... جورج سال (1874).

خاتمة

PDF Compressor Pro

لقد ترجم القوم كتاب اللّه العزيز وحرّفوا وهاجموا ونقدوا ورفضوا وأثاروا الشبهات ومازالوا. كل ذلك ليس في لغة واحدة بل في عشرين لغة ونيف.

فما هو موقفنا من كل ذلك، وماذا يجب علينا أن نفعله إزاء هذا الهجوم؟

هل نترك الحبل على غاربه لكل من أمسك قلما ليعتدي على كتاب ربّ العالمين ونحن بما يجري إما غافلون أو جاهلون؟

لقد أقامت الترجمات اللاتينية وتوابعها سدّا بين الاوروبيون وبين المعاني الصافية للقرآن الكريم وأورثتهم عداوة وكرها شديدا للاسلام والمسلمين.

وقد آن الاوان أن نأخذ بزمام المبادرة ونبلّغ ونبيّن للعالم ما عندنا من هداية ونور(7).

# # #

انتهت أيام تلكم الحروب العدوانية على القرآن الكريم بمراودة الشرقيين والغربيين ومعاشرة بعضهم مع بعضهم الاخر بالاضافة إلى كتابات مستشرقين أمثال المستشرق هاملتون جب والسير ادوارد دونون روز وغيرهم ويقول المثل العربي: (حبل الكذب قصير)، أضف اليه أنه لم يكن أي أثر لاكاذيبهم وافتراءاتهم على المسلم الشرقي. لهذا وذاك قاموا بدراسات واسعة وعميقة لانواع مصادر الدراسات الاسلامية فوجدوا ضالتهم المنشودة في بعض الكتب وبعض الروايات وبعض الاجتهادات الخاطئة من علماء المسلمين فاستفادوا منها وأشادوا بذكرها ونشروها في بلاد المسلمين كما ندرس بعضها في مايأتي باذنه تعالى:

PDF Compressor Pro

أولا ــ المستشرق الانجليزي د. آرثر جفري

وهو الذي طبع كتاب المصاحف لابن أبي داود (ت: 316) في مصر سنة 1355 هـ ومما جاء في مقدمة الكتاب ما يلي:

(نتقدم بهذا الكتاب للقرّاء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد في تاريخ تطور قراءات القرآن. نشر في أيامنا هذه علماء الشرق كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن وإعجازه وأحكامه ولكنهم إلى الان لم يبيّنوا لنا ما يستفاد منه التطور في قراءاته، ولاندري على التحقيق لماذا كفّوا عن هذا البحث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب عن تطور الكتب المقدّسة القديمة وعن ما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها.

فمن منا يجهل مبلغ سرور علماء الغرب حين أن عثروا على بعض القطع القديمة من القرطاس والبردي التي حفظت لنا آيات وأسفارا من التوراة أو الانجيل كانت بفضل رمال مصر محفوظة من البلاء والدثور مع طول الزمن.

ولايخفى على المطّلع أن علماء النصارى وعلماء اليهود قد جدّوا منذ جيلين في طلب تحقيق تاريخ الانجيل والتوراة وأنهم فازوا بنتائج باهرة كان لها أثر عظيم في تفسير لهذين الكتابين وتأويلهما، وأما القرآن فلم نجد شيئا من هذه الابحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب تاريخ القرآن لابي عبداللّه الزنجاني الذي طبع حديثا في مصر).

وبعد أن يستعرض آراء المستشرقين التي استندوا فيها على الروايات التي ناقشناها في القسم السابق، يقول:

(هذا في رأي المستشرقين تاريخ تطور في قراءات القرآن من بدء المصاحف المختلفة في أيام الصحابة إلى المصحف الرسمي العثماني، ومن وقت حرية الاختيار في الروايات إلى أن اعتمد العلماء رواية رسمية من روايات الرواة الكثيرة المختلفة، وقد حققوا أن نتيجة بحثهم هذه أقرب فهما للاحاديث المختلفة والروايات المتناقضة وأكثر موافقة لاحوال القرون الاولى وحوادثها، فبناء على هذا نرى ستة أطوار في تاريخ تطور قراءات القرآن وهي:

1 ــ طور المصاحف القديمة.

2 ــ طور المصاحف العثمانية التي بعث بها للامصار.

3 ــ طور حرية الاختيار في القراءات.

4 ــ طور تسلط السبعة أو العشرة.

PDF Compressor Pro

5 ــ طور الاختيار في روايات العشرة.

6 ــ طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة.

ولايخفى على القارئ أن نتيجة هذه الابحاث لا يتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولايهمنا في بحثنا هذا كونه حقّا أو باطلا وإنما المهم هو بيان ما وصلنا اليه بعد التحري والتنقيب، فإذا يجب علينا أن ندقق في دراسة كل طور من هذه الاطوار لتُحل المسائل الكثيرة المتعلقة بكل واحد منها لا سيما الطور الاول والطور الثالث، وبالاخص لنجمع ما بقي من حروف المصاحف القديمة التي تقدمت مصحف عثمان، وأن نبحث عن رسم المصاحف العثمانية، وأن نجمع القراءات التي عرفت من زمن الاختيار، وأن نكشف عن النص الاصلي لكل قارئ من القرّاء السبعة أو العشرة، وأن نلم بجميع القراءات المنسوبة إلى رواة القرّاء العشرة. ثم بعد ذلك نسأل متى وكيف ولماذا اختير لكل منهم روايتان من روايات رواتهم الكثيرة. وكيف ظهرت رواية حفص على روايات أصحابه ونظرة قصيرة في كتاب المصاحف لابن أبي داود تمكننا من الوصول إلى أول مراتب هذا البحث.

كتاب المصاحف.

كتب غير واحد من أهل السلف كتبا وصفوا فيها المصاحف القديمة لاسيما تلك المصاحف التي أبطلها عثمان حين ما بعث بمصحفه الرسمي للامصار، ومن هذه الكتب كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر (المتوفى: 118)، وكتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة عن الكسائي (المتوفى 189)، وكتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف للفرّاء البغدادي (المتوفى 207)، وكتاب اختلاف المصاحف لخلف بن هشام (المتوفى 229)، وكتاب اختلاف المصاحف وجامع القراءات للمدائني (المتوفى 231)، وكتاب اختلاف المصاحف لابي حاتم (المتوفى 248)، وكتاب المصاحف والهجاء لمحمد بن عيسى الاصبهاني (المتوفى 253)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (المتوفى 316)، وكتاب المصاحف لابن الانباري (المتوفى 327)، وكتاب المصاحف لابن اشته الاصبهاني (المتوفى 360)، وكتاب غريب المصاحف للورّاق، ولم يصل الينا من هذه الكتب إلاّ كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني ابن الامام أبي داود المحدث المشهور صاحب كتاب السنن، ولما كانت هذه المقدمة لكتاب المصاحف لابن أبي داود كان حقّا علينا أن نلمح إلى شيء من تاريخ حياته).

ثم أورد تاريخ حياته وجاء فيها قوله:

(ولد عبد اللّه بن سليمان الاشعث أبو بكر بن أبي داود بسجستان سنة 230).

(واشتهر في علم الحديث وفي علوم القرآن ــ أيضاــ).

PDF Compressor Pro

(وألف في هذا الفنّ كتبا كثيرة).

(فضلا عن كتابه المشهور كتاب المصاحف والمسمى أيضا كتاب اختلاف المصاحف).

(ومع هذا زعم بعض العلماء أنه غير ثقة، وقيل إن أباه أبا داود كذّبه، وقال الدارقطني هو ثقة إلاّ أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث، وقال في المغني، عبد اللّه بن سليمان السجستاني ثقة كذّبه أبوه في غير حديث، وهذه تهمة لم يرض بها المستشرقون لانها لم تقم عليها حجة من الاحاديث التي رويت عنه، ولانهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة).

دراسة أقوال المستشرق د. آرثر جفري

ياترى لماذا لم يرضَ المستشرق بالنشر الكثير لتفسير القرآن وبيان أحكامه و... و...؟

لانه لايرضيه من البحث حول القرآن عدا البحث عمّا (حصل له من التغيير والتحوير) لما فيه من التشكيك بثبوت النصّ القرآني الذي بأيدينا وقد وجد بغيته في الروايات التي أورد خلاصتها واستنتج منها تطوّر النصّ القرآني وتحوله وللسبب نفسه نشر كتاب اختلاف المصاحف لابن أبي داود لان هذا الكتاب يوصله إلى أول مراتب هذا البحث كما قال.

ونتيجة هذا البحث عنده، إن القرآن قد تغيّر وتبدّل منذ عصر نزوله إلى عصور الطبع مرّات متعددة ولتأييد قوله هذا نشر أسماء الكتب التي يستفاد منها اختلاف المصاحف بعضها مع بعض على مرّ العصور وقد بان لنا زيف ما استند اليها في بحث اختلاف المصاحف بهذا الكتاب.

وللسبب نفسه لم يرض المستشرقون ــ كما قال ــ قوله العلماء: (أنه غير ثقة) (كثير الخطأ في الكلام على الحديث) (ان أباه أبا داود كذّبه).

وقال: (لانهم ــ المستشرقين ــ اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة).

وإنّ قاعدة البحث الجديدة لدى المستشرقين حول القرآن هي صحة كلّما يثبت عدم ثبوت النصّ القرآني وتبدّله مرّ العصور!!!

وللسبب نفسه قال وأما القرآن فلم نجد شيئا من هذه الابحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب ((تاريخ القرآن)) لابي عبد اللّه الزنجاني الذي طبع حديثا في مصر. انتهى.

# # #

كانت تلكم أقوال د. آرثر جفري حول كتاب الزنجاني واليكم في ما يأتي درسها.

PDF Compressor Pro

الثناء على الزنجاني وكتابه

أ ــ قال الكاتب المصري أحمد أمين (ت: 1373 هــ) في مقدمة تاريخ القرآن للزنجاني ط. مصر سنة 1356 هــ: (إنّ الاستاذ من أكبر علماء الشيعة ومجتهديهم).

ب ــ أعضاء لجنة دائرة المعارف ومترجميها:

(وقد جمع المؤلف وانتقد ببراعة في مؤلفه الموجز مسائل وآراء شتى العلماء العرب وأوروبا ومنها: تاريخ القرآن الكريم وترتيب السور وكيفية تعليم الرسول(ص) القرآن لاصحابه وكيف كُتب القرآن الكريم لاول مرة وأشهر قرّاء القرآن الكريم وقراءاتهم ومترجموا القرآن الاوروبيون.

ونحن نشعر بالشكر الذي يدينه كل باحث لتأريخ القرآن الكريم تجاه الشيخ أبي عبد اللّه الزنجاني لكتابه هذا الذي لا يستغنى عنه الباحثون في هذا المضمار.

1 / جولاى / 1935م

لجنة الترجمة لدائرة المعارف الاسلامية

ابراهيم زكي خورشيد عبد الحميد يونس

عباس محمود احمد الشنتناوي

نرى ان سبب الثناء على الزنجاني والتنويه بمؤلفه انه كتب فيه:

انه لما استحر القتل بالقرّاء في حرب اليمامة وسأل عمر عن آية فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة وأمر الخليفة أبو بكر زيد أن يكتب المصحف فجمعها مما كان مكتوبا فيه وما شهد عليه شاهدان ووجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة فقبلها منه لان الرسول (ص) جعل شهادته شهادة رجلين.

ولما كان الصحابة يقرؤون القرآن بألفاظ مختلفة مثل امض واسرع مما لايغيّر المعنى اشتد اختلافهم حولها على عهد عثمان فأخذ المصحف من أم المؤمنين حفصة ونسخ عليه نسخا ووزعّها على البلاد الاسلامية وجمع المصاحف التي كانت عند الصحابة وغسلها.

ثم نقل المؤلف في جداول ما روي من ترتيب السور في مصاحف الصحابة وظهر منه ان عدد السور كان:

أ ــ خمسا ومائة سورة في مصحف أُبيّ!

ب ــ عشرا ومائة سورة في مصحف ابن مسعود ولم يكتب في مصحفه الحمد والمعوذتين وانه زاد في مصحفه سورة (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب..).

PDF Compressor Pro

ج ــ أربعَ عشرة ومائة سورة في مصحف ابن عباس.

د ــ ثلاثَ عشرة ومائة سورة في مصحف الامام جعفر الصادق (ع) ولم يكتب سورة الحمد.

وانتخب الزنجاني عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق كما انتخب عضوا فيه أمثال:

لويس ماسينيون Masignon Louis من المستشرقين الخطرين (ت: 1962م).

ودافيد صموئيل مرجليوث Margoliouth Samuel Davide وهو ابن حزقيال الانجليزي البروتستانتي المتعصب ضد الاسلام (ت: 1940م).

وكارل بروكلمان brocklmann Carl (ت: 1956م).

وايفارست ليفي بروفنسال Evariste Pravencal (ت: 1955م).

وكارل فلهلم سترستين Zettersteen Vilhelm Karl (ت: 1953م).

وفرانتس بول (بوهر) Buhi Frantz (ت: 1932م).

وأمثالهم من المستشرقين والشرقيين الذين كان في بحوثهم تهديم لجانب من جوانب الاسلام.

PDF Compressor Pro

ثانيا ــ المستشرق هنرى ماسيه

قال في كتابه الاسلام(8):

تثبيت نص القرآن: عند وفاة محمد لم يكن هناك أية مجموعة للنصوص القرآنية قررت بشكل نهائي. وما من شك في أن عددا من مجموعة الوحي الاول لم تكن قد حفظت؛ ولكن شذرات هامة كانت قد سجلت كتابة على عظام مسطحة، وأوراق نخيل أو حجارة. وبسبب الاهمية التجارية للمدن المقدسة كان عدد من سكانها يعرفون القراءة والكتابة دون شك، وتسرد التقاليد أسماء الاشخاص الذين قاموا بوظيفة الكتابة للنبي: أُبي بن كعب، وعبد اللّه بن أبي سرح، وزيد بن ثابت بشكل خاص.

ويعود فضل جمع هذه الشذرات المبعثرة للمرة الاولى إلى أبي بكر خليفة محمد، أو إلى عمر الذي أشار عليه بذلك. وفي السنة الحادية عشرة والثانية عشرة للهجرة فان عددا من الناس الذين كانوا يعرفون الايات القرآنية غيبا قد ماتوا في الحروب ضد النبي الكاذب مسيلمة. وقد خاف عمر حينذاك أن يختفي النص المقدّس بكامله فحمل أبا بكر على جمع الوحي. وتردد أبو بكر أولا في أن يقوم بعمل لم يحدثه النبيّ عنه، ولكنه امتثل ودعا الفتى زيدا بن ثابت، وهذا جمع بدوره كل ماوجده مكتوبا على مختلف المواد وكل ما احتفظ به رفاق النبي في ذاكراتهم، ثم صنف هذه الشذرات ونسخها في صحف وأعطاها لابي بكر.

وهذا الجمع الاول لمخطوط القرآن لم يكن ذا صفة رسمية بل كان فقط مشروعا خاصا من أبي بكر وعمر، ولكنه اكتسب أهمية كبرى بعد بضع سنوات وذلك عند تثبيت النص القانوني للقرآن في أيام الخليفة عثمان.

وبعد وفاة أبي بكر أصبحت هذه المخطوطات الاولى التي قام بها زيد في حوزة الخليفة عمر الذي عهد بها إلى ابنته حفصة، أرملة النبي؛ وهذا العمل سيؤكد عند الحاجة الصفة النافعة لهذا الجمع الاول للقرآن. ولكن من المقبول به ان هناك مجالا للتمييز بين جمع المواد التي تؤلف الصحف وبين الكتابة الحقيقية المنسوبة إلى زيد ــ الكتابة المرتكزة على الصحف. وفي هذه الحالة فان هذه الصحف، وقد انتفع بها، فقدت أهميتها وأودعت لدى حفصة أرملة النبي كتذكار بسيط.

وفضلا عن ذلك فان كتابة زيد هذه لم تكن وحيدة: فقد عزيت بعض الكتابات الخاصة إلى أربعة من رفاق محمد هم: أُبي بن كعب، وعبد اللّه بن مسعود، وأبو موسى الاشعري، والمقداد بن عمرو. وهذه الكتابات كانت تمثل اختلافات في التفصيل لا نرى من لزوم لذكرها. أما ما يهمنا فهو ان هذه الاختلافات تولد منها انقسامات بين المؤمنين. فقد تبنى أهالي دمشق أولى هذه الكتابات، وتبنّى الثانية أهالي الكوفة، والثالثة

PDF Compressor Pro

أهالي البصرة، والرابعة أهالي حمص. وهكذا أصبحت المنازعات الخطرة تهدد الاسلام. وقول التقاليد ان القائد حذيفة أشار على الخليفة عثمان (نحو عام 650م) أن يقرر نصّا نهائيا للقرآن. وهكذا دعا عثمان زيدا بن ثابت كاتب المخطوط الاول وضم اليه بعض القرشيين كمساعدين.

ويمكن الافتراض انه كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني.

فقد وصل إلى الخلافة بجهد، وكان ان عزز مركزه باقراره نصّا لا يتغير للكتاب المقدس. وقد صنع منه عدة نسخ حفظت واحدة منها في المدينة وأصبحت النسخة النموذجية، ((الامام))، وأرسلت النسخ الاخرى إلى الكوفة والبصرة ودمشق ــ إلى المدن التي توجد فيها حاميات أو التي يتمسّك أهلها بواحدة من النسخ المتباينة التي أتلفت على الاثر. وتؤكد التقاليد ان عثمان كتب بيده احدى هذه النسخ ــ وفي هذه الحالة تكون هذه النسخة هي نسخة المدينة، ولكن الراجح هو انه ترك هذا الامر لزيد.

وهذا القرآن الرسمي يضم، وفقا للتقليد، سوريتن أقل من مخطوط أُبيّ، وسورتين أكثر من مخطوط ابن مسعود. وعدا ذلك فهناك بعض الفروق في الاملاء والكلمات تفصل بين النسخ.

ولكن سؤالا أكثر أهمية يفرض نفسه: هل تحتوي نسخة عثمان على مقاطع مختلقة؟

لقد رفض الخوارج مثلا السورة الثانية عشرة، معلنين ان اللهجة الغرامية لقصة يوسف والمرأة المصرية تجعلها متنافرة مع كتاب مقدس! ويعتقدون بالتأكيد ان وحيا من هذا النوع لايأتي من اللّه. ولكن مع أن قسما من السورة فقط قد خصص لهذه القصة فان التقليد يؤكد انها موجودة في أقدم النسخ الخاصة؟ يضاف إلى ذلك ان نولدكه يلاحظ بحق انها تتلاءم مع بقية القرآن من ناحية اللغة والنسق الانشائي.

ومن ناحية أخرى فان الشيعيين يؤكدون ان المقاطع التي تتعلق بعلي وعائلته قد حذفت بأمر عثمان. ويستندون في ذلك إلى عدم تلاحم بعض المقاطع، ويعتبرون ان النص الاصلي قد انتقل سرّا من كل إمام إلى خلفه، وسيظهر في النهاية عند ظهور الامام المختفي.

وما من شك ــ ويجب تكرار ذلك ــ في ان القرآن كما وصل الينا لا يتضمن الوحي كله؛ ومقابل ذلك فقد ظهرت له بعض الاضافات التفسيرية والتذييلات (التي لا يستنتج منها شيء)، وكذلك تغيير مكان بعض الجمل. ولكن الامر لا يتعلق أبدا بتحريفات يعترض عليها المؤمنون: والخلاصة أن أقدم المؤرخين قد صمتوا حول هذه النقطة.

وهناك تسع وعشرون سورة تنتمي كلها تقريبا إلى العصر الذي سبق الهجرة مباشرة، وتبتدئ بحروف مفردة لاتزال تحيّر مفسري القرآن من مسلمين وغيرهم. فالعلماء المسلمون بعد ان بحثوا عن ايجازات وجدوا فيه لغزا لا يعرفه إلاّ اللّه وحده. وعاد بعض المستشرقين إلى فكرة الايجازات هذه، وأراد آخرون

PDF Compressor Pro

أن يجدوا فيها الحروف الاولى لاسماء المالكين الاول للنسخ التي كتبها زيد. أما عناوين السور فقد أعطيت لها فيما بعد، وكذلك التقسيم إلى آيات فانه تقرر بعد ذلك.
ولايجب الاعتقاد ان كتابة القرآن التي تمت بأمر الخليفة عثمان قد ظلت دون تغيير.

محتوى وتاريخ القرآن:

من المعلوم ان ترتيب السور مؤسس بكل بساطة وفقا لطول كل سورة.
والسور الاكثر قصرا (وهي الاقدم) موجودة في نهاية القرآن. ولم يستطع زيد ورفاقه ان يرتبوا القرآن على أساس معنى الايات لان صفة الوحي المتقطعة تعترض ذلك. ولم يستطيعوا التفكير بالترتيب التاريخي لان الوقت كان متأخرا لاثبات هذا الترتيب. وعلى كل حال فإنّ الترتيب النازل وفقا لطول السور فيه أمران شاذّان: فمن ناحية أولى نرى السورتين الاخيرتين (رقم 113 و 114 الناقصتين بالتأكيد من قرآن ابن مسعود) ليستا هما الاكثر قصرا ــ ومع ذلك فهما تمثّلان صفة خاصة جدا لانهما، والحقّ يقال، قواعد ضد الرقى المؤذية. ومن ناحية أخرى فان السورة الاولى (الفاتحة) قد وضعت على رأس الكتاب مع أنها لاتعد سوى سبع آيات، وقد كان ذلك دون شك لان لها شكل الصلاة. وفضلا عن ذلك فانها تنتهي عادة، بعد أن ترتل بكلمة ((آمين))، الامر الذي لايحدث في السور الاخرى؛ وقد أوحي أيضا بوجوب تلاوتها في أغلب الاحيان (القرآن 15، 87).
ولكن هذا الترتيب الاصطناعي، الذي تبناه زيد ورفاقه لايستطيع ان يرض النفوس المفكرة.

PDF Compressor Pro

ثالثا ــ المستشرق اليهودي كولد زيهر

قال في كتابه (تطور العقيدة والشريعة في الاسلام):

(ان رسول اللّه نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص وبحكم الظروف التي أحاطت به. إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة وإلى أن يعترف انه ينسخ بأمر اللّه ما سبق أن أوحاه اللّه اليه.

فإذا كان الامر كذلك في عصر النبي (ص) فمن الاولى ان يكون كذلك ــ بل أكثر من ذلك ــ عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية وتأهب لكي يصير قوة دولية)(9).

# # #

أوردنا أمثلة من أقوال المستشرقين الذين قصدوا في ما نشروا الطعن بالاسلام وبرسوله وكتابه، ومن المستشرقين من لم يقصد الطعن في ما نشر غير ان الروايات والاجتهادات اللاتي درسناها في ما سبق أدت بهم أن ينشروا ما نشروا مثل ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية كما يأتي:

PDF Compressor Pro

رابعا ــ المستشرقون في دائرة المعارف الاسلامية

على الاغلب ان ما تذكره المصادر من ان قراءة ابن مسعود وأُبيّ وأبو موسى كانت الغالبة في الكوفة وسوريا والبصرة؛ يقال إنّ هذه الثلاث بدأت في عصر الرسول. عبد اللّه بن مسعود كان خادما للرسول ومرافقا له في معظم الاحداث وأخبر عنه انه معلم للقرآن.

وبعدها عيّن في مسؤولية ادارية في الكوفة في عهد عمر. وهنا أصبح مسؤولا عن القرآن والحديث.

ابن مسعود، أخبر عنه أنّه رفض اتلاف نسخة القرآن التي لديه أو توقيف دراسته لهذه النسخة في حين ان قرآن عثمان أصبح رسميا وكذلك هنالك أخبار عن بعض المسلمين في الكوفة انهم استمروا في تدريس قرآن ابن مسعود بعد وفاته ولذلك انقسم المسلمون.

أُبيّ بن كعب، هو مسلم من أهل المدينة خدم الرسول كسكرتير له والظاهر أنه كان أكثر تخصّصا في القرآن من ابن مسعود في عهد الرسول. يقال ان قرآن ابن مسعود كان يختلف عن كتاب عثمان في نقاط عديدة ومهمة، المصادر تؤكد أن كتاب ابن مسعود لا يحتوي على الفاتحة (السورة الاولى).

واختلف في وجود سورة الفاتحة عن ابن مسعود ولقد أخبر ابن النديم انه رأى عدة نسخ من قرآن ابن مسعود، واحدة منها كانت عمرها 200 سنة كانت تحتوي على الفاتحة.

يقال ان ترتيب السور عند كتاب أُبيّ يختلف عن نسخة عثمان ونسخة ابن مسعود، وكذلك هناك اختلاف جزئي بينهم في القرآن(10).وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ما موجزه:

كعب الاحبار: أبو اسحاق بن ماتع، يهودي يمني اعتنق الاسلام عام 17 هـ (الطبري 1 / 2514) ويعتبر من أقدم المتخصصين في حقل الاسرائيليات، كلمة حِبر أو حَبر مشتق من كلمة حابار العبرية وهي كنية يكنى بها الراباي أو الربّاني، كما هو معهود إلى اليوم بين علماء اليهود في بابل.

لايُعرف الكثير عن هذا الرجل الذي قدم إلى المدينة حين خلافة عمر بن الخطاب وصاحب الخليفة إلى أورشليم عام 15 هـ (الطبري 1 / 2408) وبعد اسلامه أصبح من المقرّبين للخليفة وأصبح بعد ذلك من خواص الخليفة عثمان وتنازع أبو ذر معه في مجلس عثمان (الطبري 1 / 2946 ــ 2947). وبعدها حاول معاوية أن يتخذه كمشاور له في دمشق.

كان يشتهر بالمامه التام بالتوراة والتقاليد الاجتماعية لجنوب الجزيرة العربية وكان ذا سياسة ودهاء (تهذيب النووي / 523)، ويعتبر كعب مصدرا لاحاديث تخص عمر بن الخطاب، ويتّهمُ بادخال أفكار يهودية في الاسلام ورويت عنه احاديث كثيرة منها: ماتخص قصص الانبياء عليهم السلام كقصة: ذي‌الكفل (بروكلمان s1:101 ط. بولاق 1283) أو يوسف (ع)(11).

PDF Compressor Pro

# # #

بعد هذه الجولة في دراسة أعمال المستشرقين وأهدافهم في الاستشراق نوجزها باذنه تعالى في ما يأتي:

خلاصة البحث:

وجدنا المسيحي الشرقي يوحنّا الدمشقي الذي كان يعيش في كنف البلاط الاموي أول من تصدّى هو وخليفته أبو قرة للاسلام والقرآن ونشر الجدل البيزنطي الذي كان يتّقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفة اليونانية مثل: كلام اللّه هل مخلوق أم غير مخلوق؟ والذي انتشر في العصر العباسي في المجتمع الاسلامي وأدّى إلى حبس وقتل علماء من المسلمين وكان أوّل من طعن بالقرآن والرسول(ص) في قصة زيد وزينب. وقال: ان المفاهيم القرآنية منقولة عن التوراة والانجيل وأخذ منه بعد ذلك مسيحيون بيزنطيون ثم الغربيون الذين أدركوا قوّة الاسلام في الحروب الصليبية واتجهوا لاقامة حرب فكريّة ضدّ الاسلام وكتابه القرآن كان في مقدمتهم بطرس الكلوني في سنوات (1094 ــ 1156م) والذي أقام الحرب الفكرية بترجمة الكتب الاسلامية وفي مقدمتها ترجمة القرآن من العربية إلى اللاتينية محرّفة ومشوّهة وبعيدة عن الاصل العربي بما افتروا به على كتاب اللّه الكريم وقد كتب أحد المترجمين يصف ترجمته ويقول: (لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمد ويسّرت فهمه...)

(ويجب أن يشكر ــ بطرس الكلوني ــ لتعرية مبادئ الاسلام للضوء بعدما سمح الدارسون في الكنسية لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينشر لمدة خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما وقد وضّحت في ترجمتي في أي مستنقع فاشل يعشش مذهب السراسيين ــ المسلمين ــ متمثلا في عملي جنديا من المشاة يشق الطريق لغيره، لقد قشعت الدخان الذي أطلقه محمد).

(لعلك ــ الخطاب لبطرس ــ تطفؤه بنفحاتك).

وكانت روح الاستهزاء والسخرية ظاهرة في كتاباته وترجمته للقرآن الكريم لاسيما في تسميته للسور وصرّح انّه تصرّف بحرية في ترجمة النصّ وزاد عدد السور في ترجمته أكثر مما في القرآن الكريم.

ومن أمثال هذه الترجمة اللاتينية تُرجم إلى 21 لغة أوروبية وعندما انتشرت الطباعة جاء في مقدمة المترجم في نسخة امستردام بالكلمات الشهادتين هكذا:

رسول اللّه لا اله

الا اللّه محمد

PDF Compressor Pro

ومهما كان السبب استهزاء أو عدم فهم تكون النتيجة ان المترجمين الغربيين كانوا يحرّفون ترجمة القرآن الكريم وغيره من الكتب الاسلامية كتحريفه هذا لكتابة الشهادتين وانتشرت هذه الترجمات في بلاد الغرب بعد انتشار الطباعة وأصبح بمتناول يد عامّة الغربيين بعد أن كان ميسورا للقساوسة والرهبان وامتد هذا النوع من العدوان على القرآن الكريم إلى مراودة الشرقيين مع الغربيين وتعرّف بعضهم بعض الاخر وكان لابدّ للمستشرقين من تغيير سلاحهم في حربهم الفكريّة للقرآن الكريم ووجدوا ضالتهم المنشودة في الروايات التي درسناها في بحوث هذا الكتاب والاجتهادات الخاطئة التي استندت إلى تلك الروايات فقاموا بتسليط الاضواء على تلك الروايات والاجتهادات أينما كانت وحققوا مصادر المخطوط منها وطبعوها ونشروها ونشروا المطبوع منها وأشادوا بذكر مؤلفيها وأثنوا عليهم وشاء اللّه تعالى أن تدرس تلك الروايات والاجتهادات في مجلدات هذا الكتاب وصدق اللّه العظيم حيث يقول: (وقدمنا الى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباء منثورا) وآخر دعوانا ان الحمد للّه رب العالمين.

PDF Compressor Pro

الهوامش

()1 (ومن أظلم ممن إفترى على اللّه الكذب وهو يدعى إلى الاسلام واللّه لايهدي القوم الظالمين) الصف / 7.

(يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم واللّه متم نوره ولو كره الكافرون) الصف / 8.

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون) الصف/9.

()2 دأب الاوروبيون على تحاشي كلمة إسلام ومسلمين وأطلقوا تسميات كثيرة أشهرها سراسين، ومحمديون، ومور، وأتراك ولكن الاسلام الحقيقي مرفوض لسمو معناه.

()3 أنظر: نورمان دانييل ((الاسلام والغرب)) ص 296.

()4 وقلنا الترجمة اللاتينية الثانية بغض النظر عن ترجمة سكالييه شرشييه (عربي ــ لاتيني) (1579م) وترجمة جبرائيل الصهيوني (باريس) الجزئية (1630م) وترجمة كريستسانوس رافوس (1646م) والتي كتب فيها النص بالحرف العبري ولم نذكرها بسبب عدم ذيوعها وانتشارها وتأثيرها على الترجمات الاخرى.

()5 شوفان يعتقد أن هذه الترجمة عن ك. سافاري وليس عن سال وفي كلا الحالين فان الاصل هو ماراكيوس.

ــ أول ترجمة مجرية Imre ,Szdmajer مأخوذة عن ماراكيوس عام 1831م.

ــ يقول آرثر جفري ان أول ترجمة الى اللغة التشيكية كانت عن ماراكيوس أيضا وكان لـــ((فيسلي إجناز)) عام 1913 م .Ignac Vesly

6ــ v.Vol ,World Moslem The ,Koran the of Translations ,Zwemmer.M.S (1916) p - 244261.

ــ لقد ترجمت ترجمة جورج سال إلى العربية بواسطة البعثات البروتستانتية التبشيرية في مصر عن:

Leiden V .vol Edition New .Islam of encyclopaedia The (1981).

()7 انتهى ما نقلناه بتصرف من مقال للدكتور حسن المعايرجي في مجلة المسلم المعاصر، العدد 48، السنة 1407 هـــ، لبنان بيروت ص 53 – 50، تحت عنوان ((الترجمات اللاتينية الاولى للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللغات الاوروبية)).

PDF Compressor Pro

()8 ترجمه بيهج شعبان إلى العربية ونشره عويدات. بيروت وعليه ترخيص ماكس لوكير الفرنسي بترجمته لجميع الناطقين باللغة العربية.

()9 العقيدة والشريعة في الاسلام ــ المستشرق اجناس كولدزيهر، تعريب د. محمد يوسف، د. علي حسن عبد القادر والاستاذ عبد العزيز عبد الحقّ. الطبعة الثانية. مصر، بحث محمد (ص) والاسلام ص 41.

10ــ Vol .1981 ,Leiden ,Islam of Encyclopaedia The: 5 / 400 – 432.

11ــ Vol .1978 ,Leiden ,Islam of Encyclopaedia The: 4 / 316 – 317.